الطاعة والتقوى في القرآن والحديث

<"xml encoding="UTF-8?>

قال الله تعالى في كتابه المجيد : (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (١) ، وقال: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) (٢) .

الطاعة : هي الخضوع لله عز وجل ، وامتثال أوامره ونواهيه ، والتقوي : من الوقاية ، وهي صيانة النفس عما يضرها في الآخرة ، وقصرها علي ما ينفعها فيها (٣) .

ولا ريب أن طاعة الله سبحانه هي من أشرف المزايا ، وأجل الخلال الباعثة علي سعادة المطيع ، وفوزه بشرف الدنيا والآخرة ، قال تعالي : (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا) (٤).

وتواترت الأحاديث الشريفة الحاثة علي طاعة الله سبحانه ، ووجوب امتثال أمره ، حيث روي عن الإمام الحسن الزكي (عليه السلام) في موعظته الشهيرة لجنادة : (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ، وإذا أردت عزاً بلا عشيرة ، وهيبة بلا سلطان ، فاخرج من ذلّ معصية الله الي عزّ طاعة الله) (٥) .

وعن الامام الصادق (عليه السلام) أنه قال : (اصبروا علي طاعة الله ، وتصبّروا عن معصية الله ، فانما الدنيا ساعة ، فما مضي فلست تجد له سروراً ولا حزناً ، وما لم يأت فلست تعرفه ، فاصبر علي تلك الساعة التي أنت فيها ، فكأنك قد اغتبطت) (٦) .

وعن رسول الله (صلي الله عليه وآله) قال : (اذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس ، فيأتون باب الجنة فيضربونه ، فيقال لهم : من أنتم ؟ فيقولون : نحن أهل الصبر ، فيقال لهم : علىما صبرتم ؟ فيقولون : كنا نصبر علي طاعة الله ، ونصبر عن معاصي الله ، فيقول الله (عز وجل) : صدقوا ، أدخلوهم الجنة ، وهو قول الله (عز وجل) : (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)) (٧).

وعن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) قوله : (إذا أردت ان تعلم أن فيك خيراً ، فانظر الي قلبك ، فان كان يحب أهل طاعة الله (عز وجل) ، ويبغض أهل معصيته ؛ ففيك خير ، والله يحبك ، وإن كان يبغض أهل طاعة الله ، ويحبّ أهل معصيته ؛ فليس فيك خير ، والله يبغضك ، والمرء مع من أحب) (٨) .

ومن أعظم وأنفع ما يبعث عليه العقل : تقوي الله تعالي ، وهي من أكبر الذخائر عنده تعالي ، وجاء مدحها في الكتاب العزيز مراراً ، كما في قوله تعالي : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [الحجرات : ١٣] ، وقال : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) [النساء : ١] ، وقال : (وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [الحجرات : ١٠] ، (وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) [البقرة : ١٩٧] وغيرها من الآيات الكريمة .

وقد علّق الله تعالي علي التقوي خير الدنيا والآخرة ، وأناط بها اعزّ الأماني والآمال ، منها :

١/ المحبة من الله تعالي ، فقال سبحانه : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) [التوبة : ٤] .

٢/ النجاة من الشدائد وتهيئة أسباب الارتزاق ، فقال : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) [الطلاق : ٢] .

٣/ النصر والتأييد ، قال تعالي : (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) [النحل : ١٢٨] .

٤/ صلاح الأعمال وقبولها ، فقال تعالي : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) [الأحزاب : ٧٠ – ٧١] . وقال : (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) [المائدة : ٢٧] .

٥/ البشارة عند الموت ، قال تعالي : (الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ) [يونس :٦٣- ٦٤] .

٦/ النجاة من النار ، قال تعالي : (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْ) [مريم : ٧٢] .

٧/ الخلود في الجنة ، قال تعالي : (أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) [آل عمران : ١٣٣] .

فتجلي من هذا العرض ان التقوي هي الكنز العظيم ، الحاوي لصنوف الأماني والآمال المادية والروحية ، الدينية والدنيوية (٩) . وتكون التقوي بطاعة الله تعالي في امتثال أوامره ، والكفّ عن زواجره ، وهي عند الأولياء الخلّص ألذّ من كل ما يتعاطونه في دار الدنيا من أنواع المستلذات علي اختلاف أنواعها ، لما قد أشربت قلوبهم من حبّها ، فاستنارت وأشرقت وابتهجت بها ، لاسيما وقد شابوها بالذكر والعبادة والأعمال الراجحة ، فحقرت نفوسهم الدنيا وما عليها (١٠) .

وروي عن الإمام علي (عليه السلام) قوله في مناجاة الله تعالي : (ما عبدتك طمعاً في جنتك ، ولا خوفاً من نارك ، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة ؛ فعبدتك) . وهي من أشرف منازل ودرجات العبادة ، ألا وهي عبادة المحبين ، قال تعالي : (وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) [البقرة : ١٦٥] ، وهي تبعث علي الاستمرار في العمل ، والخضوع والخشوع والإخلاص ، قال تعالي : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) [البينة : ٥] .

---

١ . سورة الأحزاب : ٧١/

٢ . سورة النحل : ١٢٨/

٣ . موسوعة أخلاق أهل البيت (عليهم السلام) ، السيد مهدي الصدر : ص ١٧٤/

٤ . سورة الفتح : ١٧/

٥ . المصدر نفسه : ص ١٧٤/

٦ . الوافي: ج٣ ، ص ٦٣ عن الكافي .

٧ . بحار الانوار : ج ٢، ص ٤٩ عن الكافي : ج ٢، ص ٧٥، ح٤/

٨ . المصدر نفسه : ح ١، ص ٢٨٣ ، عن علل الشرائع والمحاسن للبرقي والكافي .

٩ . موسوعة أخلاق أهل البيت (عليهم السلام) ، السيد مهدي الصدر : ص ١٧٤/
١٠ . موسوعة أخلاق أهل البيت ، الشيخ حسين الهمداني : ص ٣٩٨/